جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
بإيتاي البارود

الدعوة إلى مكارم الأخلاق في شعر (محمود الوراق)

دكتور
حامد سعد على خضرجى جاويش
مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات
الإسلامية والعربية بنين بدسوق

المقدمة

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على خير الأنام، ومصباح الظلام، ومفتاح دار السلام، محمد سيد ولد عدنان، وعلى آله وصحبه الكرام، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،،،،،

فإن من عوامل رقي الأمم وتقدمها، وعلو شأنها وتحضرها، ما يتمتع بـه أبناؤها من أخلاق حميدة، والأخلاق هي مجموعة من المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك الإنساني، ومن ثم فهي شيء أساسي في بناء المجتمعات وتطورها، ولهذا فإننا نجد الأمم العريقة هي التي تحافظ على القيم والأخلاق.

ولما كانت الأخلاق من الأهمية بمكان في بناء الأمم والحضارات، والشعر هو اللسان المعبر عنها، ولا يخفي ما فيه أيضاً من دور في تهذيب النفوس وصقلها، وجهت بحثي نحو مجموعة من الأخلاق الحميدة والقيم النبيلة، التي وردت في شعر الشاعر العباسي (محمود الوراق)، والذي حمل لواء الزهد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة في ذلك العصر، وذلك كردة فعل لموجات المجون والزندقة التي بدت تنتشر في المجتمع العباسي آنذاك على يدي بعض الشعراء.

وما لفت نظري أنه على الرغم من الشهرة التي نالها (محمود الوراق) وذيوع شعره في معظم المصادر الأدبية وكتب الرقائق، إلا أنه لم تشمله أي دراسة أدبية، وذلك من خلال بحث وتنقيب في سجلات الرسائل العلمية في جامعة الأزهر وبعض الجامعات الأخرى، وبعض المجلات العلمية التي تعنى

بالدراسات الأدبية، وهذا ما حفزني أيضا إلى أن أتناول هذا الجانب الاجتماعي في شعره، فعقدت العزم وسألت من الله العون فهو نعم المولى ونعم النصير.

وقد قسمت بحثي هذا إلى مقدمة، وتمهيد، وفصلين، وخاتمة.

- **أما المقدمة:** فقد بينت فيها دافع اختياري لهذا البحث، ثم أوضحت أهميته في مجال الدراسات الأدبية، والتخطيط الذي احتواه.
- **وفي التمهيد:** تحدثت فيه عن مفهوم الأخلاق وأثرها في حياة الأمم، وعلاقة ذلك بالشعر، ثم تحدثت بإيجاز عن (محمود الوراق) – حياته وشعره.
- **وجاء الفصل الأول:** ليتحدث عن موضوعات شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق عند (الوراق).
- **ثم تناولت في الفصل الثاني:** الخصائص الفنية في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق عند (الوراق).
- وتأتى **خاتمة** هذا البحث لتسجل أهم النتائج التي أسفرت عنها الدراسة.

تمهيد
الأخلاق وأهميتها عبر العصور والأزمان

تعد الأخلاق الفاضلة دعامة قوية وأساساً من دعائم بقاء الأمم واستمرارها، وما من أمة سادت إلا وكان للأخلاق فيها شأن عظيم؛ لذا فلا غرابة أن تأتى خاتمة الرسالات السماوية المتمثلة في بعثة محمد (ﷺ): لإتمام مكارم الأخلاق، ولقد أخبر الرسول (ﷺ): أن مقاصد بعثته إتمام محاسن الأخلاق، فقال (ﷺ): **{إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ}**(١).

ولقد جاء الإسلام وهناك مورث لا بأس به من الأخلاق الحميدة في الجاهلية فأقرهم الإسلام عليها مع التعديل في مضامينها حيث جعل التوجه بها إلى الله وحده، وذلك كالكرم، والصدق، والأمانة، والوفاء بالعهد، والشجاعة.....، لما لهذه الأخلاق من أثر في بناء مجتمع قوى متماسك تؤطره تعاليم الكتاب والسنة، وترشده إلى خيريّ الدنيا والآخرة"وذلك لأن الحياة الأخلاقية هي الحياة الخيِّرة البعيدة عن الشرور بجميع أنواعها وصورها، فكلما انتشرت هذه الحياة انتشر الخير والأمن والأمان الفردي والاجتماعي، وانتشرت أيضاً الثقة المتبادلة، والألفة، والمحبة بين الناس، وكلما غابت هذه الحياة انتشرت الشرور وزادت العداوة والبغضاء"(٢).

فالأخلاق لها آثار عظيمة في حياة الأمم والمجتمعات، وذلك إذا ما علمنا" إن سقوط الأمم والحضارات كثيراً ما ترجع أسبابها إلى الانهيار الأخلاقي فيها،

---

(١) الحديث ورد في الأدب المفرد، للبخاري، ت- تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م رقم الحديث ٢٧٣، ص: ١٠٤.

(٢) علم الأخلاق الإسلامية، تأليف: الدكتور/مقداد يالجن، دار عالم الكتب – الرياض – ط٢: ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م: ص: ٨.

كما قررها بعض المؤرخين وابن خلدون"[1]، وكذلك من أسباب قوتها واستمرارها وتطورها هو ما تتمتع به من أخلاق، وفي ذلك يقول شوقي:

إنما الأمَمُ الأخلاقُ ما بقِيَتْ فإن هُم ذهبَتْ أخلاقهُم ذَهَبُوا[2]

ولئن كانت الشريعة الإسلامية خالدة كما أراده الله لها فإن "الأخلاق الفاضلة من أهم الأسس التي اعتمدها الإسلام في بناء الفرد وإصلاح المجتمع؛ إذ بها يتم دينه وتصلح بها دنياه وأخراه جميعاً"[3].

ولما كان للشعر من دور في تهذيب النفوس وصقلها والإشادة بالجوانب المشرقة فيها، فقد اهتم الأدباء والنقاد بإبراز هذه القضية والحث على مكارم الأخلاق على امتداد العصور.

ففي العصر الجاهلي تميزت الأمة العربية بأنها صاحبة فصاحة وبيان، ومن يتصفح كتب الأدب يرى أنها حملت إلينا ما جرى على ألسنت الشعراء من المفاخرة بمكارم الأخلاق"وكانت الفضيلة العليا لديهم تتمثل في (المروءة) التي تقوم على الشجاعة والكرم، ومن المروءة الحلم والصبر والعفو عند المقدرة، وقرى الضيف، وإغاثة الملهوف، ونصرة الجار، وحماية الضعيف..... إلخ"[4].

وقد يرجع اهتمام العرب بمكارم الأخلاق في ذلك العصر لما أشيع بينهم من ثقافة الانتماء إلى القبيلة، ويرى (ابن رشيق ت ٤٤٢هـ) أن غاية الشعر في المجتمع الجاهلي هي إعلاء القيم، وجعل الأخلاق هدفاً أسمى لدى الإنسان

---

(١) علم الأخلاق الإسلامية: ٩.

(٢) ديوان أحمد شوقي: ٢٥٩/١، والموسوعة الشعرية: ١٥٧.

(٣) الأخلاق في الإسلام –النظرية والتطبيق، تأليف: الدكتورة/إيمان عبد المؤمن سعد الدين، مكتبة الرشد ص: ١٣.

(٤) الأخلاق في الإسلام: ٥٨.

العربي، إذ يقول:" وكان الكلام كله منثوراً، فاحتاجت العرب إلى الغناء بمكارم أخلاقها، وطيب أعرقها وذكر أيامها الصالحة، وأوطانه النازحة، وفرسانها الأنجاد، وسمائحها الأجواد لتهز أنفسها إلى الكرم، وتدل أبناءها على حسن الشيم"(١).

وتعد" إشادة الشعراء بمفاخرهم ومفاخر قبائلهم وما امتازوا به من فضائل إحدى ملامح الرؤية الشعرية عند هؤلاء الجاهليين، فالتغني بهذه الفضائل يمثل دعوة ضمنية على اكتسابها، والتغني بالقيم يمثل دعوة لترسيخها وتعميقها والتنبيه إليها"(٢).

ولما جاء الإسلام هدى الناس إلى طريق الخير وحررهم من الارتهان للقبيلة والتعصب للأحساب والأنساب وخلص ولاءهم لله – سبحانه –، فتحول الولاء من حدود القبيلة الضيقة إلى الولاء لله تعالى بإتباع صراطه المستقيم وفق ما جاء في كتابه العزيز وسنة رسوله الكريم، فسمت بذلك النفوس، وارتفعت الهمم، وأصبحت الأخلاق في ظل التشريع الإسلامي جزءً من الدين القويم، يدين بها الإنسان لله وحده لا لإرضاء القبيلة والعرف.

فأقر الإسلام الأخلاق الكريمة الحسنة التي تؤدى بدورها إلى انصهار المجتمع في بوتقة واحدة، وتجعله لحمة متماسكة، تسوده المحبة والمودة، وتطرح كل الخلافات التي ينشأ عنها التعصب القبلي جانباً، فاختفت إلى حد

(١) انظر: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبى الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق، وتعليق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: الخامسة عام ١٤٠١هـ – ١٩٨١م:١/٢٠.

(٢) الشعر والمجتمع الجاهلي، د/حسنى عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، بدون تاريخ: ٢٢.

كبير الرذائل، لكونها لا تتماشى وتعاليم الشرع الحنيف، وأصبح التفاخر بالإيمان والسعي لكماله بالأخلاق، فنجد الرسول(ﷺ) يقول: **{أكمل الناس إيماناً أحسنهم أخلاقاً}** (١).

فغدا المجتمع الإسلامي متمسكاً بمحامد الأخلاق منادياً بها، وناهياً عن كل رذيلة تحط من شأنه، متأثراً في ذلك بالنهج الرباني، فتحلي بالأخلاق الفاضلة" كالصبر، والشجاعة، والعدل، والمروءة، والعفة والصيانة، والجود، والحلم، والعفو، والصفح والاحتمال، والإيثار، وعزة النفس عن الدناءات، والتواضع، والقناعة، والصدق، والمكافأة على الإحسان بمثله أو أفضل، والتغافل عن زلات الناس، وترك الاشتغال بما لا يعنيه، وسلامة القلب من تلك الأخلاق المذمومة ونحو ذلك، فكلها ناشئة عن الخشوع وعلو الهمة، والله سبحانه أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة ثم ينزل عليها الماء فتهتز وتربو وتأخذ زينتها، فذلك المخلوق منها إذا أصابه حظه من التوفيق"(٢).

أما المجتمع العباسي فقد ازدهر فيه شعر الزهد والدعوة إلى الأخلاق الفاضلة، وكان ذلك في مواجهة ومجابهة تيارات المجون واللهو والزندقة التي انغمس فيها كثير من شعراء هذا العصر يقول الدكتور/شوقي ضيف عن ذلك" لعل مجتمعًا عربيًّا لم يعرف اللهو والمجون كما عرفها المجتمع العباسي في القرنين الثاني والثالث" (٣)وكان في طليعة من حمل لواء الدعوة إلى مكارم

---

(١) أخرجه أبو داود، رقم الحديث {٤٦٨٢} كتاب السنة.

(٢) الفوائد، لابن القيم الجوزيِّة – تحقيق وإعداد، مكتب البحوث والدارسات – بمكتبة نزار مصطفى الباز – نشر المكتبة،الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ – ١٩٩٨م: صـ ٢٠٣.

(٣) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، تأليف – الدكتور/شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية عشرة، (د– ت)، صـ: ١٠٠.

الأخلاق الشاعر (محمود الوراق)، وذلك ليعيد للمجتمع توازنه، فحارب في شعره كثير من الأمراض الاجتماعية وذلك: كالنفاق، والظلم، والبخل، والكذب، والحسد، والجشع والكبر، والتهافت على الدنيا، وضعف الإيمان، وقلة الثقة في الله.

وعلى المقابل نجده يدعو الناس في شعره إلى التقوى، والصبر، والشكر، وصدق الحديث، والقناعة، والعفو عند المقدرة، والتسامح مع الناس، والسخاء، وغض البصر، والإيمان بقضاء الله وقدره، وغيرها من أخلق وفضائل دعا إليه سنفصل القول في ذلك بعد أن نعرف بالشاعر في إيجاز.

الوراق سيرته وأخباره

- **اسمه ومولده:**

هو محمود بن الحسن الوراق[١] من الموالي، فقد ذكر أنه كان مولى لبني زهرة[٢] شاعر عباسي مشهور، ذاع شعره وانتشر، حتى طبقت شهرته الآفاق، تداولته كتب الأدب والرقائق ولكن على الرغم من هذه الشهرة وهذا الذيوع إلا أن الأخبار الواردة عن نسبه لا تغنى ولا تفي حيث انشغل الرواة بشعره عن نسبه وأخباره، ويلاحظ على هذه الأخبار أنها صادرة عن مصدر واحد إذ كلها واحدة، نقلها واحد عن آخر.

أما بالنسبة لتاريخ ميلاده فهو مجهول، حيث سكتت عنه كتب التاريخ والسير، ولكننا من الممكن أن نتلمس هذا التاريخ من خلال أشعاره، فقد ذكر في معرض حديثه عن وصف الشيب أنه قد جاوز السبعين فقال:

إحدى وسبعون لو مرت على حجر لكان من حكمه أن يفلق الحجر[٣]

وتحدث مرة أخرى أنه بلغ الستين فقال:

أمن بعد الستين تبكي الطلولا وتندب رسماً" وانيا"محيلا[٤]

---

(١) فوات الوفيات، تأليف – محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين، تحقيق إحسان عباس – دار صادر بيروت، ط ١ عام ١٩٧٣م: ٧٩/٤، وجاء في مقدمة الديوان أن اسمه محمود بن الحسين ص: ١١.

(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – ط١ ١٤٣٢هـ: ٨٨/٣.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبى عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي: ٢١٩/٢.

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس: ٢٢١/٢.

وقد ألمح مرة إلى الاقتراب من الثمانين فقال:

وما صاحب السبعين والعشر بعدها بأقرب ممن حنكته القوابل[١]

فمن الواضح إذن أنه كان من المعمرين، فعلى فرض أن عمره قدر ما بين السبعين والثمانين، وأنه قد مات ما بين إحدى وعشرين وثلاثين ومائتين [٢]، يكون التاريخ الذي ولد فيه – على وجه التقريب – ما بين مائة وأربعين ومائة وخمسين للهجرة، أي أنه عاش في منتصف القرن الأول والثاني الهجريين.

نشأته وسيرته:

أما نشأته الأولى فقد أغفلتها كتب التراجم كما أغفلت نسبه، وغاية ما نعرفه عن هذه النشأة أنه نشأ ببغداد، حيث نسبه النويري إليها[٣]، وقد شهر بلقبين، الوراق، والنخاس، أما الأول: فقد شهر به وهو الأكثر وروداً في المصادر، ويعنى به الناسخ بالأجرة، وأما الثاني: فربما كانت المهنة التي كان يمتهنها، و يراد بها بيع الرقيق، قال البغدادي:" ويقال أنه كان نخاساً يبيع الرقيق"[٤]، وقال ابن الجوزيِّ:" وكان نخاساً"[٥]، وجاء في مرآة الزمان" وكان نخاساً يبيع الجواري والغلمان"[٦].

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني،دار الأرقم بن أبى الأرقم، بيروت – ط١ عام ١٤٢٠هـ: ٥٠٦/٢.

(٢) طبقات الشعراء، لابن المعتز،تحقق: عبد الستار أحمد فراج: دار المعارف – القاهرة، ط:٣: ٣٦٧.

(٣) نهاية الأرب في فنون الأدب: ٨٨/٣.

(٤) تاريخ بغداد، للبغدادي، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١-١٤١٧هـ: ٣ ٨٨/١.

(٥) أخبار الظراف والمتماجنين، للجوزي، تحقيق – بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم – بيروت، ط ١ -١٩٩٧م ص: ١٥١.

(٦) مرآة الزمان "حوادث ٢٢١هـ".

ومن أخباره أنه كان يملك من الرقيق عدداً ليس باليسير، ومن أشهر ما ملكت يداه جاريتان هما (سكن)، و (ونشوى)، فأما سكن فكانت جميلة أديبة ظريفة، وقد نعتها الحسن العلويّ بقوله:" كانت سكن – جارية (محمود الوراق) من أحسن خلق الله وجهاً، وأكثرهم أدباً، وأطيبهم غناءً، وكانت تقول الشعر فتأتى بالمعاني الجياد والألفاظ الحسان[1]"، وأما نشوى فقد رثاها كثيراً في شعره ومنه قوله:

ومنتصح يكرر ذكر نشوى ... على عمدٍ ليبعث لي اكتئابا

فقلت وعد ما كانت تساوي ... سيحسب ذاك من خلق الحسابا

عطيته إذا أعطى سرور ... وإن أخذ الذي أعطى عطى

شعره وآراء القدماء فيه:

كان (الوراق) من أبرز شعراء العصر العباسي الأول، ولقد مثَّل اتجاه الزهد والموعظة في ذلك العصر، ومن المعلوم جيداً أن هذا العصر ماج بالعديد من الاتجاهات المختلفة، كالمجون واللهو والزندقة، والغزل وفنونه المختلفة، والشعر السياسي، والشيعي، إلى غير ذلك من مشارب واتجاهات شتى.

ولقد برع (الوراق) في هذا الاتجاه حتى صار يدعى بأنه شاعر الموعظة والحكمة والزهد، يقول ابن المعتز عنه:" شعر (محمود الوراق) كثير، وأكثره حكم وأمثال ومواعظ وأدب، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس، وسابق البربري"[3]، وذكر ذلك الثعالبي (٤٢٩هـ) فقال أن "أكثر شعره في

(١) طبقات الشعراء: ٣٦٦.

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس: ٣٥٨/٢، تاريخ بغداد: ٨٨/١٣.

(٣) طبقات الشعراء: ٣٦٨.

المواعظ والحكم"[١]، وقال الخطيب البغدادي عنه إنه" أكثر القول في الزهد والأدب"[٢] وقرظه البكري (٤٧٨هـ) فقال:" شاعر كثير الشعر جيده، وعامته في الحكم والمواعظ والزهد" [٣] وأشاد به الذهبي (٧٤٨هـ) وبشعره فقال:" شاعر مجود سائر النظم في المواعظ"[٤].

ولعذوبة شعره كان كثير من العلماء من يتمثل به، فقد ذكر ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) أن أبا سعيد السيرافي (ت٣٦٨هـ)" كثيراً ما ينشد مقطعات (محمود الوراق) في الشيب ويبكي عليها"[٥]، وأشار الحصرى القيرواني (٤٥٣هـ) إلى سعة ثقافته فقال:" كان كثيراً ما ينقل من أبار الماضين، وحكم الأقدمين، فيحلي بها نظامه، ويزين بها كلامه"[٦].

مصادر شعره:

شعر (محمود الوراق) كثير ومتناثر في كتب الأدب والرقائق، ولم يثبت أن له ديوان مخطوط، ولذا كانت كل المحاولات جمع شعره من الكتب المختلفة، ومن ثم اعتمدت على الديوان الذي جمعه الأستاذ الدكتور/وليد قصاب، والذي

---

(١) المنتحل – للثعالبي، تحقيق/الشيخ أحمد أبو علي، المطبعة التجارية – عرزوزي وجاويش – الإسكندرية- ١٣١٩هـ – ١٩٠١م: ٣٥٢.

(٢) تاريخ بغداد: ٨٩/١٣.

(٣) سمط اللآلي: للبكري، تحقيق- عبد العزيز الميمني، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة: ١٣٥٤هـ – ١٩٣٦م: ٣٢٨/١.

(٤) سير أعلام النبلاء – للذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٢م –١٩٨٣م: ٤٦١/١١.

(٥) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق/إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م: ٨٨٣/٢.

(٦) زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري القيرواني، دار الجيل –بيروت (د. ت): ١٣٩/١.

طبعته مؤسسة الفنون عام ١٩٩١م، ثم الكتب الأخرى مثل: بهجة المجالس وأنس المجالس، وتاريخ بغداد، وطبقات الشعراء، والمنتحل، وسمط اللآلي، وسير أعلام النبلاء، ومعجم الأدباء، وزهر الآداب، والمستطرف في كل فن مستظرف للإمام الأبشيهي.

وهكذا مضى الشاعر (محمود الوراق) يكثر الشعر في الدعوة إلى الله – سبحانه– بالحكمة والموعظة الحسنة، والثورة على الفساد والقيم الرذيلة التي انتشرت في مجتمعه آنذاك، ومن ثم فقد جاء هذا البحث ليتناول بعض الأخلاق الفاضلة التي دعا إليها في شعره.

الفصل الأول
(موضوعات شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق عند الوراق)

١- الصبر:

يعد الصبر من أهم الآداب والشيم التي دعا إليها (محمود الوراق) في شعره وحث عليها، وذلك انطلاقاً من كونه خلق قويم يجب أن يتحلى به المسلم، ولا أدل على ذلك من ربطه بالفلاح حيث قال جلَّ شأنه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ ﴾[١].

ولا يخفى كذلك من كون الصبر خلق إسلامي رفيع يمنح صاحبه حصانة ذاتية ضد الصدمات والشدائد التي تزدحم بها الحياة، وترمى بها من تختار من الراتعين في رحابها وفنائها، وهو إلى جانب ذلك يعين المتخلق به على اجتياز العقبات التي تقف في وجهه ويمكنه من تحقيق ما يصبو إليه من آمال وطموحات في هدوء وثبات، ولهذا أرشد الله إليه فقال: ﴿ وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[٢].

والمتأمل في النصوص الشعرية التي نظمها (محمود الوراق) في الصبر يقف على اصطباغ أكثرها بشخصيته، وذلك يعنى أنه صاحب تجارب ذاتية عاشها وتعايش معها، فولَّدت لديه ذلك الاحتفال بالصبر والاحتماء به من

(١) سورة آل عمران الآية رقم (٢٠٠).
(٢) سورة البقرة الآية رقم (٤٥).

عثـــرات الزمـــان، إذ يـــراه أمـــضى ســـلاح فـــي الحيـــاة فيقـــول: (من السريع)

الصبر أمـــضى ســـلاح ذي الأرب فـــأقمع بـــه حـــد ســـورة الأدب[1]

فالدهر ذو تقلب فتارة يقبل على الإنسان بالخير والـسعادة، وتـارة يـدبر فيسقيه من مر الكأس، ولهذا ينصح الوراق أن يتجلد الإنسان ويحتمي بالـصبر، فهو خير معين على نوائب الدهر، فالنصر مع الصبر والعسر مع اليسر فنجـده يقول:

الـــدَّهرُ لا يبقـــى علـــى حَالِـــهِ لكـــــنَّهُ يُقـــــبل أو يـــــدبرُ

فـــإن تلـــــقَّاكَ بمكـــــرُوهه فاصبر فـــإن الـــدَّهر لا يـــصبرُ[2]

وقد يعتمد (الوراق) على أسلوب التأمل العقلي والفلسفي في الحـث علـى لزوم الصبر حيال نوازل الدهر، فنجده يحض الإنسان على أن يتمثل مـصائبه ونوازله قبل أن تقع عليه، ليستعد لها نفسياً ويشحذ همته لمواجهتها، فإذا حلـت به كان وقعها خفيفاً عليه، وتلك طريقة العقلاء، أما غيرهم من الجهـلاء مـن يأمنون صروف الدهر ونوائبه الأمر الذي لفت (الوراق) أنظارنا إليه في قوله:

يمثل ذو العـــقل فـــي نفـــسه مـــصـــائبه قـــبل أن تـــنزلا

فإن نزلـــت لـــم تكـــن بغـــتة لما كـــان فـــي نفـــسه مثـــلا

رأى الهـــم يفـــض إلـــى آخـــر فـــصـــير آخـــره أولا

وذو الجـــهل يـــأمن أيامـــه وينسى مـــصارع مـــن قـــد خـــلا

---

(١) الديوان ص٨٢.

(٢) الديوان ص١١٩.

فـــإن بدهتـــه صـــروف الزمـــان ببعـــــض مـــصـــائبه أعـــــولا

ولو قـــــدم الحـــــزم فـــي رأيـــه لعلـــمه الـــصـــبر عنـــد الـــبلا[1]

وقد حازت هذه الأبيات على إعجاب الفيلسوف العربي أبى بكـــر الـــرازى (ت ٣١٥هـــ) فاستشهد بها في نظريته لدفع الغم التي عرضها في كتابه (الطب الروحاني) التي تقوم على الخطوات الآتية:

١- أن يستقل الإنسان من محبوباته.

٢- أن لا يغتر وينخدع بما معها.

٣- أن يتذكر المرارة المتجرعة عند فقدها.

٤- أن يتمثل فقدها قبل زوالها.

٥- الغم يأتي من اعتقاد الرجل بدوام محبوباته، ولدفعه ينبغـــي عليـــه أن يعتقد بأن كل ما في الدنيا إلى زوال، (وأن يعد مدة بقائها له فضلاً، وما استمتع به من ذلك ربحاً إذا كان فناؤها وزوالها كائناً لا محالة)[2]

وانطلاقاً من طريقة الشاعر الوعظية نجده يوجِّه وعظه للإنسان بأن يتجمل بالصبر إذا ما وقعت به مصيبة، وأن يسلم لقضاء الله وقدره ويصبر على نوائب دهره، فكل شيء لا يخرج عن قضاء الله وقدره، فما أراده سبحانه كان وإن لـــم يرده العباد، وما لم يرده لم يكن وإن أراده العباد يقول (محمود الوراق):

أإن فـــات مـــا كنـــــت أملتـــه جزعت وماذا يرد عليك الجـــزعْ

ففوِّضْ إلـــى الله كـــل الأمـــور فلـــيس يكون ســـوى ما صـــنعْ

---

(١) بهجة المجالس: ٢/٣٥٤.

(٢) الفكر الأخلاقي العربي، د/ماجد فخرى، فصول منتزعة الأهلية – للنـــشر والتوزيـــع – بيروت ١٩٧٩م:٥١.

ولا يخـدعَنَّك صـرفُ الزمـان فإن الزمـان كثيـر الخُـدَعْ[1]

وللصبر – كما لا يخفى– آثار عظيمة وفوائد جليلة يجدها المتحلى به، وقد قدم (محمود الوراق) في احتفاله به بعضاً منها، ويأتي في مقدمتها أنه خير عون للإنسان على الزمان ومن ثم يتحقق له الرفعة، إذ الإنسان الصابر المحتسب يعظم في عيون الناس من حوله، فيعيش مرفوع الهامة دائماً حتى لو تكالبت الظروف عليه، وتجهمت في وجهه الحياة فهو لا ينقاد – تحت وطأة الصعوبات التي تعترض طريقه – لذوى الأغراض الدونية الممقوتة، بل يظل صامداً وساعياً إلى تحقيق ذاته فنجده يؤكد على هذا المعنى بطريقة تفيض بالحكمة والموعظة الحسنة:

الحرص عون للزمان على الفتى والصبر نعم العون للأزمان

لا تخضعن فإن دهرك إن رأى منك الخضوع أمده بهوان

إذا رآك وقصدت لصرفه بالصبر لاقى الصبر بالإذعان[2]

ولهذا نجد الشاعر يلوذ بالصبر ويحتمى به من نوائب الزمان ومواجعه، إذ يراه خير عون يعول عليه لمن أراد أن يحتمى به فيقول:

إنى رأيت الصبر خير معول في النائبات لمن أراد معولاً[3]

ومن أنواع الصبر التي دعا إليها (محمود الوراق) الصبر على الظلم، فنجده يدعو المظلوم أن يصبر على ظالمه ولا ينتقم منه بل يكل الأمر إلى الله (ﷻ) يأخذ له بمظلمته، ففي الحديث {**وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ**

(١) بهجة المجالس: ٢٥٣/١.

(٢) الديوان: ١٩٤.

(٣) الديوان: ١٦٥.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ (ﷻ): بِعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ}[1] كل هذه المعاني يؤكد عليها بأسلوب دعوى وذلك في قوله:

اصبر على الظلم ولا تنتصر فالظلم مردود على الظالم

وكل إلى الله ظلوماً فما ربى عن الظالم بالنائم[2]

٢- القناعة:

وهى خلق إسلامي رفيع دعا إليها (محمود الوراق) في أشعاره، ويراد بها رضا المرء بما ساقه الله (ﷻ) إليه وقدر عليه من أرزاق، وانصرافه عما يثير في نفسه الحرص والجزع، والبعد عن التكالب على الدنيا الفانية وطلبها بطرق وأساليب غير مشروعة.

وهذا يعنى أن الدعوة من إعلاء هذه القيمة" لا يورث الضعف والوهن في النفس، لأنها لا تعنى الانقطاع عن الحياة والانزواء عن مجالاتها وميدانها، بل تعنى الرضا بنتائج مبادرته في الحياة – بعد أخذه بأسبابها القريبة والبعيدة – إخفاقاً أو فشلاً"[3].

وقد ظهر احتفاء (الوراق) بالقناعة جلياً وأحسب أن ذلك الاحتفاء راجع إلى ما قد رآه من تكالب المجتمع العباسي على حطام الدنيا الزائل، وما قد يجلبه

---

(١) حديث صحيح بطرقه وشواهده، رواه أبو هريرة، انظر: مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف/أبى عبد الله أحمد الشيباني، تحقيق/شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، الناشر/مؤسسة الرسالة، ط: الأولى عام ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م: ١٥/٤٦٣.

(٢) الديوان: ١٨٠.

(٣) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، تأليف/د- مجاهد مصطفى بهجت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق بغداد، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ – ١٩٨٠م: ص ٤٤٧.

ذلك التكالب والتهافت خلف بريق المال من أدواء وعلل، مما يؤدى إلى تشتيت عرى المجتمع وتهديد أمن أبنائه ووحدته.

هذا وقد انتهج (محمود الوراق) طرق وأساليب شتى في معالجته لهذه القيمة الأخلاقية النبيلة، ومحاولة إشاعتها في أوساط مجتمعه، يتبن لنا ذلك من خلال النصوص الشعرية التي عرضها.

فبأسلوب فلسفي مبنى على القياس المنطقي نجده يقرر أن القناعة تساوى الغنى، فالإنسان القانع هو الغنى برضاه، بينما الجَشِع هو الفقير وإن كان يمتلك مالاً كثيراً فيقول:

إن القناعة ما علمت غنى والحرص يورث ذا الغنى فقراً[1]

فالقناعة من وجهة نظره تعنى الكفاية – أي أن يأخذ الإنسان من ماله ما يكفيه لضرورات حياته – وهذا في حد ذاته هو الغنى الحقيقي، أما الحرص كما يراه إحساس نفسي أو هيئة نفسية تدفع الإنسان إلى طلب ما يزيد على حد الكفاية، فالقناعة تشعر صاحبها بالطمأنينة، أما الحرص فيشعر صاحبه بالقلق فهو دائماً يطلب المزيد؛ لأن المال الذي بحوزته لا يكفيه، فهو في فقر شديد لا يدفع فقره كنوز الأرض؛ لأن الفقر هنا إحساس نفسي عميق لطلب المزيد.

ويقول مستخدماً القياس السابق ذاته:

من كان ذا مال كثير ولم يقنع فذاك الموسر المعسر

وكل من كان قنوعاً وإن كان مقلاً فهو المكثر

الفقر في النفس وفيها الغنى وفي غنى النفس الغنى الأكبر[2]

---

(١) الديوان: ١١٢.

(٢) الديوان: ١١٤.

في الأبيات السابقة يرى (الوراق) أن الغنى كامن في النفس كما أن الفقر فيها كذلك، فالغنى الذي لم يقنع بما لديه من مال موسر من الناحية المالية، لكنه معسر من الناحية الأخلاقية، والقنوع وإن كان مقلاً في المال فهو غنى، لأن الفقر والغنى من الأمور النفسية، فالغنى غنى النفس، فعن أبى هريرة (ﷺ) قال رسول الله (ﷺ) (وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس) [1]، ولذا نجده يقول:

غنى النفس يغنيها إذا كنت قانعاً ... وليس بمغنيك الكثير من الحرص

وإن اعتقاد الهمِّ للخير جامعاً ... وقلة همِّ المرء يدعو إلى النقص[2]

وبأسلوب يفيض بالحكمة والموعظة الحسنة نجده يقول:

أتطلب رزق الله عند غيره ... وتصبح من خوف العواقب آمناً

وترضى بصراف وإن كان مشركاً ... ضميناً ولا ترضى بربك ضامناً [3]

وما دام الرزق بيد الله وحده فلماذا يستذل الإنسان نفسه لغيره – سبحانه – إذ يبحث عنه عند غيره، أو ينتابه القلق والخوف من المستقبل، فيتعجل فيطلب رزقه بوسائل غير مشروعة، ولذا نجد الله (ﷻ) يطمئن عباده على أرزاقهم

---

(١) حديث حسن، رواه أبو هريرة، انظر: كتاب سنن الترمذي، تأليف/محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق/أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة – مصطفى البابي الحلبي –مصر، ط: الثانية عام ١٣٩٥هـ – ١٩٧م: ٤/٥٥١.

(٢) الديوان: ١٣٨.

(٣) الديوان: ١٨٩.

باعتباره المالك الوحيد لها، حيث يقول: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[1] أبعد هذا القسم من الجليل سبحانه لا نرضى به ضامنا للأرزاق، ونرضى بغيره وإن كان مشركاً وعاجزاً، وعلاج هذا كله هو القناعة، ومن ثم نجده يقول:

أما عجب أن يكفل الناس بعضهم ... ببعض فيرضى بالكفيل المطالب

وقد كفل الله الملىّ بنفسه ... فلم يرض والإنسان فيه عجائب

عليم بأن الله موف بوعده ... وفي قلبه شك على القلب دائب

أبى الجهل إلا أن يصيره بعلمه ... فلم يغن عنه علمه والتجارب[2]

في هذه الأبيات يعجب (الوراق) من الإنسان كيف لا يقنع برزقه الذي يسوقه الله (ﷻ) إليه وكفله له، ورغماً عن ذلك صار يطلبه من غيره، مع علمه بأن الله صادق الوعد موف به، وكل الثوابت والشواهد تثبت ذلك.

كما نجده يدعو الناس أن يقنعوا بما أعطاهم الله وأن يتعففوا عما في أيدي غيرهم فلا يقفوا على أبواب الملوك فيقول:

شاد الملوك قصورهم ... عن كل طالب حاجة أو راغب

غالوا بأبواب الحديد لعزها ... وتنوقوا في قبيح وجه الحاجب

وإذا تلطف للدخول إليهم ... راجٍ تلقَّوه بوعد كاذب

فارغب إلى ملك الملوك ولا تكن ... يا ذا الضراعة طالباً من طالب[3]

---

(١) سورة الذاريات الآية رقم (٢٢) و (٢٣).

(٢) الديوان: ٧٢.

(٣) الديوان: ١٨٩.

وهكذا أظهر لنا الشاعر (محمود الوراق) في دعوته إلى القناعة أهميتها من الناحية الأخلاقية والاجتماعية، فالقناعة من الناحية الأخلاقية تبث في صاحبها أخلاقاً فاضلة كالكرم عند الغنى والصبر عند الفقير، كما تقضى على أخلاق أخرى مرذولة كالحقد والحسد والضغينة والبخل وغيرها.

أما من الناحية الاجتماعية فإنها تخلق توائم بين طبقات المجتمع حيث تشيع بينهم الرضا بالقليل والطمأنينة، حيث تحد من خلق الطمع الذي يدفع إلى اكتناز المال وعدم التطلع لما في أيدي الغير وهذا هو الغنى الحقيقي.

٣- الشكر:

وهو من أهم القيم والآداب الإنسانية إذ يحتل أعلى المنازل الإيمانية، فمنزلته فوق منزلة الرضا وزيادة، والرضا متدرج في الشكر أو يستحيل وجود الشكر بدونه، وهو يشتمل على المحبة والتوكل، والإيمان نصفان: نصف شكر، ونصف صبر.

ولقد عرفه العلماء بأنه "ظهور نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافاً، وعلى قلبه شهوداً ومحبة وعلى جوارحه انقياداً وطاعة، وقيل الشكر صرف النعم فيما خلقت له، واستعمالها فيما شرعت لأجله"(١).

فكلمة الشكر من الكلم الجوامع، لأنها تنتظم كل خير، وتشمل كل ما يصلح به لب الإنسان ولسانه وجوارحه، فالذي لا يحب الله ولا يشهد قلبه بأن ما فيه من النعم إنما هو من الله فضلاً وإحساناً ليس بشاكر وقد جاء في شعر (محمود الوراق):

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علىّ له في مثلها يجب الشكر

---

(١) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال – تأليف/القاضي حسين بن محمد المهدي – وزارة الثقافة– دار الكتاب عام ٢٠٠٩م: ٣٧٧/١.

فكيف بلوغ الشكر إلّا بفضله وإن طالت الأيّام واتّصل العمر

إذا مسّ بالسرّاء عمّ سرورها وإن مسّ بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلّا له فيه نعمة تضيق بها الأوهام والبرّ والبحر[1]

فنجده في الأبيات السابقة يدعو الناس إلى شكر الله (ﷻ) بأسلوب فلسفي منطقي إذ يؤكد على كون شكر الله مبنى على توفيق منه سبحانه، فشكر الله نعمة تستحق الشكر، وهذا المعنى أخذه الوراق من مناجاة سيدنا داوود (عليه السلام) حينما قال:" إلهي كيف لي أن أشكرك وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك، فأوحى الله تعالى إليه يا داوود ألست تعلم أن الذي بك من النعم منى ؟ قال: بلى يا رب، قال فإني أرضى بذلك منك شكراً"[2] وقريب من ذلك قوله:

شكر الإله نعمة موجبة لشكره

وكيف شكري بره وشكره من بره[3]

كما نجده يدعو إلى تقيد النعمة بالشكر فيقول:

أعارك ماله لتقوم فيه بطاعته وتقضى فضل حقّه

فلم تشكره نعمته ولكن قويت على معاصيه برزقه

تجاهره بها عودا وبدءا وتستخفي بها من شرّ خلقه[4]

---

(١) الديوان: ١٢١.

(٢) الفاضل- لأبى العباس المبرد – دار الكتب المصرية، القاهرة – الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ: ص ٩٥.

(٣) الديوان: ٢٢٤.

(٤) الديوان: ١٥٤.

فكل ما خول الإنسان من أنعم إنما هي عارية من الله استودعها عباده، تقيد بالشكر وتذهب بالمعصية، وشكر النعمة يكون باستعمالها في طاعة المنعم، ولذا الشكر عمل وليس قول فحسب يقول الله تعالى: {**اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ**}(١)، ثم نجد الشاعر يذكر أن هناك طائفة من الناس يأكلون أنعم الله ولا يؤدون شكرها، بل يتقون بها على معصية الله مجاهرين بذلك، كما نجده يُعْلى من الشكر كقيمة إنسانية لا غنى عنها فيقول:

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد ... بعزة نفس أو علو مكان

لما أمر الله الحكيم بشكره ... فقال اشكروا لي أيها الثقلان(٢)

لقد ربط الشاعر بين عدم استغناء الإنسان عن فضيلة الشكر وبين أمر الله بها، وكأنه أراد أن يبرز بأن حكمة الله في التشريع مبنية على ما يصلح الإنسان ولذا اختار من أسماء الله الحكيم لأن الحكيم هو من يضع الشيء في موضعه المفيد فائدة دائمة لا يأتي من بعدها ضرر، من هنا نجده يرى الشكر غاية في حياة المسلم فيقول:

وما يبلغ الإنعام في النفع غاية ... على المرء إلا مبلغ الشكر أفضل

وما بلغت أيدي المنيلين بسطة ... من الطول إلا بسطة الشكر أطول

ولا رجحت في الوزن يوما صنيعة ... على المرء إلا وهى بالشكر أثقل

ولا بذل الشكر امرؤ حق بذله ... على العرف إلا وهو للمال أبذل

فمن شكر المعروف يوماً فقد أتى ... أخا العرف من حسن المكافاة من عل(٣)

---

(١) سورة سبأ من الآية رقم (١٣).

(٢) الديوان: ١٩٦.

(٣) الديوان: ٢٦٢.

في الأبيات السابقة مقدمات تفضى إلى مسلمات ونتائج تقضى بأن الشكر هو غاية الغايات، فلا يعرف المرء قيمة النعمة إلا إذا أدرك قيمة الشكر، فالمرء يتوجه إلى ربه بالشكر لأنه مصدر الإنعام على وجه الأرض، كما يتوجه إلى غيره من المخلوقين، لأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس، فمن شكر من أسدى إليه معروفاً فقد كافأ، ومن جاد بالمال فشاكره أجود، ويده أطول، وأصبح به في الميزان أثقل، وإلى قلوب الناس أقرب، ولتحصيل الثواب أكثر.

٤- العفو والصفح:

طيب النفس وحسن الظن بالآخرين وقبول الاعتذار وإقالة العثرة وكظم الغيظ والعفو عن الناس كل ذلك يعد من أهم القيم والأخلاق التي حض عليها الإسلام في تعامل المسلمين مع بعضهم البعض، ولا يؤدى ذلك إلى منقصة، بل بالعكس فمن كانت هذه صفته وأخلاقه فهو خليق بأن يكون من أهل العزة والرفعة؛ يوضح ذلك ما جاء عن الرسول (ﷺ) في قوله: **{مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ}**[1] فهذه هي العزة في ظلال الإسلام، فمن ابتغى العزة في غير ذلك وجد الذل والهوان.

ونجد (محمود الوراق) يدعو إلى التسامح والعفو عند المقدرة، باعتبار ذلك من القيم الخلقية السامية التي تعكس روحاً إنسانية نبيلة فيقول:

إني شَكَرْتُ لِظالمي ظُلْمي ... وغَفَرْتُ ذاك له على عِلْمي

ورَأيْتُه أسْدى إليَّ يَداً ... لمّا أبانَ بِجَهْلِه حِلْمي

رَجَعَتْ إساءتُه عليْه وإحْـ ... ـساني فَعادَ مُضاعَفَ الجُرْمِ

---

(١) المسند الصحيح المختصر، تأليف/الإمام مسلم النيسابورى- تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت: ٤/٢٠٠١.

وغَـــدَوْتُ ذا أجْـــرٍ ومَحْمَـــدَةٍ وغَــدا بِكَــسْبِ الظُّـــلمِ والإثْــمِ

فَكأنَّمـــا الإحْـــســـانُ كـــانَ لـــهُ وأنا المُسيءُ إليـــهِ فـــي الحُكْـمِ

مـــازالَ يَظْلِمـــنُي وأرْحَمـــهُ حتّى بَكَيْـتُ لـــهُ مِـــنَ الظُّلْـمِ[1]

في الأبيات السابقة نجد (الوراق) يحاول إقناع المتلقي بـــأن الـــذي يعفـــو ويصفح عن صاحبه

هو صاحب اليد العليا، ولهذا أخذ في الموازنة بين شخصيته هو وشخصية ظالمه، فبدأ بشكر ظالمه بدلا من معاتبته لأن ظلْمه هو الذي أبـــرز شخـــصيته المتسامحة، ومن ثم كان منه العفو والصفح، وباء صاحبه بحمـــل إثـــم الظلـــم وجميل الإحسان إليه، بينما هو يكسب الأجر وحسن الذكر، وما زال كذلك حتى أصبح العفو سجيته، وتلك وسيلة من وسائل الإقناع في الـــدعوة إلـــى التحلـــي بالأخلاق الحميدة وذلك عن طريق ذكر المعني وضده، إذ الضد يبـــرز حـــسنه الضد ولهذا نجده يلزم نفسه الصفح عن كل مذنب فيقول:

سألزم نفسي الصفح عن كل مذنب وإن عظمـــت منه عليّ الجـــرائم

فـــما الناس إلا واحـــد مـــن ثلاثة شريف ومشروف ومثلي مقـــاوم

فأما الذي فوقي فاعـــرف فضـــله واتبع فيـــه الحـــق والحـــق لازم

وأما الذي دوني فإن قال منكـــراً صفحـــت له عنـــه وإن لام لائـــم

وأمّا الذي مثلي فإن زلّ أو هـــفا تفضلت إنّ الفضل بـــالحلم حـــاكم[2]

(١) الديوان: ٢٣٦.

(٢) الديوان: ٢٣٥.

لقد أحسن (الوراق) في الأبيات السابقة التفصيل بعد الإجمال، فبدأ بالعفو عن كل من أساء إليه مهما بلغت هذه الإساءة؛ لأنه إذا نظر إلى من يأتيه بمكروه وجده واحد من ثلاث: إما أفضل منه فيعرف له فضل التقدم فيتبعه، وإن كان دونه فتصفو نفسه عنه، وإن كان مثله تفضل عليه بالعفو والصفح ولا سيما إن كان هذا المسيء صاحباً فيكون ذلك أدعا إلى الصفح دون المعاندة، وهذا واضح في قوله:

لا بر أعظم من مساعدة فاشكر أخاك على مساعدته
وإذا هفا فأقله هفوته حتى يعود إليك كعادته
فالصفح عن زلل الصديق وإن أعياك خير من معاندته[1]

ينوع (الوراق) في أسلوب دعوته إلى الصفح والعفو مستخدماً الحكمة، إذ يلفت الأنظار إلى قيمة الإخاء والصداقة فإنها من أعظم القيم وأفضلها، ومن ثم فإنه يجدر بالمحسن أن يشكر من أحسن إليه، على الرغم من أن العكس صحيح، وما هذا إلا لعظم نعمة الإخوة والصداقة، ولهذا يجب أن تراعى بشيء من الحلم والصفح وكظم الغيظ، وإلا لذهب الناس أشتاتاً متفرقين، ويختتم الأبيات بقوله لا تستكثر من نفسك بالفضل على الآخرين، ولا من أخيك بالتقصير.

وفي إطار دعوته إلى هذه القيمة نجده يذكر أن ذلك أدعى إلى قبول العفو من الله والصفح عن عباده مهما كانت الخطايا والذنوب يقول الله تعالى:

---

(١) الديوان: ٩٢.

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1]، فنجده يقول:

مازلت أغرق في الإساءة دائباً ... وينالني منك العفو والغفران

تولى الجميل على القبيح وإنما ... يرضيك منى الزور والبهتان

فكأنني بالذنب ألتمس الرضي ... إذ لم يضرني عندك العصيان[2]

ولا يخفى ما في ذلك من جميل عفو الله وصفحه عن عباده، فهو الذي يقبل التوب ويغفر الذنب مع طلاقة قدرته، ونلمح في الأبيات ونلمح في الأبيات السابقة أن الوراق يجنح إلى الصوفية بما فيها من عبارات فيها شطط، فليس معنى أن الله يحلم على عباده أنه يرضى منهم بالمعاصي قال تعالى: ﴿ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ﴾[3]، وليس في تأجيل العقوبة يعنى أمنها، أو نتجرأ فنلتمس الرضي في الذنب.

ولمزيد من تأكيد هذه الروح النبيلة في نفس (الوراق) والتي يدعو إليها، نورد له أبياتاً أخرى يقدم لنا فيها علاجا ناجعاً لنفس السفيه يقول فيها:

رجعت على السفيه بفضل حلمي ... فكان الحلم عنه له لجاما

وظن بي السفاه فلم يجدني ... أسافهه وقلت له سلاما

فقام يجر رجليه ذليلا ... وقد كسب المذلة والملاما

(١) سورة النور من الآية رقم (٢٢).

(٢) الديوان: ١٩٠.

(٣) سورة الزمر من الآية رقم (٧).

وفضـــل الحلم أبلـــغ في ســـــفيه وأحـــرى أن تنال بـــه انتقـــــاما[1]

وهنا يلفت الأنظار إلى أن استعمال الحلم مع السفيه أبلغ وأنجح في علاجه من الجهل عليه؛ لأن الحلم يرد السفه مرداً جميلاً، والشيء لا يزول إلا بـــضده، أليس الماء هو الذي يطفئ النار؟!

ثم إن استعمال الحلم في تلك المواقف يسترعى معاني الفضيلة فـــي نفـــس السفيه، فيرجع عن سفهه، ولكن العكس يكون حين يقابل سفه السفيه، بسفه مثله إنه بلا شك سيزيده سفاهة.

٥- الصدق:

يعد الصدق من الآداب والأخلاق الفاضلة لأنه يؤدى إلى غايـــة مـــستقيمة وهدف نبيل، فأي عمل لا يقوم على معنى الصدق هو عمل مضطرب يـــؤدى إلى غايات متصارعة وأهداف متناقضة يضيع معها جهد الإنسان وعمله.

ولذا وجدنا الإسلام يدعو اتخاذ الصدق خلقاً اجتماعياً ومنهجاً شاملاً للحياة، وحذر من مغبة الكذب وما يخلفه من أخطار على الدين والمجتمع، قال تعالـــــــى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[2].

---

(١) تاريخ بغداد، للبغدادي – تحقيق: د/بشار عواد معـــروف – دار الغـــرب الإســـلامي – بيروت، الطبعة الأولى: عام ١٤٢٢هـــ – ٢٠٠٢م: ١٠٢/١٥.

(٢) سورة الزمر الآية رقم (٣٢) و (٣٣).

ومن ثم فالصدق أساس طريق الإيمان الحق والخلق الفاضل، وهو الفارق بين الإيمان والنفاق، والكذب عكس ذلك طريق للنفاق والضلال والخلق السيء، قال (ﷺ): {**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا – أَوْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ – حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**}[1].

هذا ولقد دعا (محمود الوراق) إلى الصدق مبيناً ما فيه من منافع للفرد والمجتمع، كما بين خطر الكذب وضرره فقال:

أصدق حديثك إن في الصد ق الخلاص من الدنس

ودع الكذوب لشأنه خير من الكذب الخرس[2]

ولا يخفى ما في ذلك من توجيه نبوي شريف قال (ﷺ): {**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**}[3] الصمت درجة ثانية بعد صدق الحديث، فلئن كان الصدق نقيض الكذب فإن الصمت نقيض الثرثرة التي لا تؤدى إلى نتائج صحيحة أو غايات نبيلة، ولذا فالصمت يقوم مقام الصدق حالة عدم حضوره.

إن الصدق عمود الدين وركن الأدب وأصل المروءة، فلا تتم هذه الثلاثة إلا به، وهو من أزكى فنون القول لأنه يقود الكلام إلى معرفة الحق والصواب، ويدفع الزيغ والضلال والباطل، ومن ثم فهو منجاة لصاحبه، وفي ذلك يقول (الوراق):

---

(١) متفق عليه، رواه أبو هريرة، ورد في صحيح البخاري، للإمام البخاري – تحقيق محمد زهير ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى عام ١٤٢٢هـ: ١٣١/٣.

(٢) الديوان: ١٣٣.

(٣) صحيح البخاري – في باب حفظ اللسان: ١٠٠/٨.

الـــصـــدق منجـــــاة لأربابـــــه وقـــربة تـــدني مـــــن الـــــرب[1]

فهو فضلاً عن كونه ينجى صاحبه قربة يتقرب بها العبد إلى ربـــه، يتـــذوق الإنسان المر في حلاوته يقول الشاعر:

الصـــدق حلـــوٌ وهـــو المـــــــر والـــصـــدق لا يتـــــركه الحـــــر

جوهـــرة الصـــدق لهـــا جـــوهر يحـــســـدها الياقـــــوت والـــــدر[2]

لقد حكم الثعالبي على البيتين بأنهما من أفضل ما قيل في باب الـــصدق[3]، وذلك لتضمنهما معنى جميل، فالإنسان يكابد نفسه وغيره من أجل الصدق، لـــذا فلا يتركه كل صاحب همة عالية، فهو من شـــيم الأحـــرار، ودأب الـــصالحين، وتاج يتزين به العبد بين الناس في الدنيا، وبين يدي مولاه في الآخرة.

وفي إطار دعوة (محمود الوراق) إلى الإعلاء من قيمة الصدق نجده يحذر من مغبة الوقوع في الكذب فيقول:

كـــــذبت ومـــن يكـــــذب فـــــإن إذا ما أتى بالـــصـــدق ألا يـــصـــدقا

ومن إذا عرف الكذاب بالكذب لـــم لدى الناس كذاباً وإنّ كـــان صـــادقا

ومن آفـــــة الكـــــذاب نـــســـيان وتلقـــاه ذا ذهن إذا كان حاذقـــــا[4]

في الأبيات السابقة يؤكد الوراق على العاقبة الوخيمة التـــي فـــي انتظـــار الكاذب سواء أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة، ففي الدنيا كان جزاء من اعتـــاد

---

(١) الديوان: ٧٧.

(٢) الديوان: ١١٨.

(٣) أحسن ما سمعت، للثعالبي – دار الكتب العلمية، بيـــروت – لبنـــان، الطبعـــة الأولـــى: ١٤٢١هـــ – ٢٠٠٠م: ٨٧.

(٤) الديوان: ١٥٣.

الكذب ألا يصدق وإن جاء بالصدق، لأن من آفة الكذب النسيان، ولهذا قيل إن كنت كذوباً فكن ذكوراً.

٦- السخاء والإنفاق:

من مكارم الأخلاق وآداب الإسلام الرفيعة التي تغنى بها الشعراء في العصر العباسي ودأبوا على إشاعتها في أوساط مجتمعهم السخاء والإنفاق، وعدم التحسر والندم على ذهاب ما في اليد، كما صوروا البخل والبخلاء بصورة هازئة ساخرة.

ولقد دعا القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة إلى السخاء والكرم والإنفاق، وحذرا تحذيراً شديداً من البخل والشح، كما أوضحا العواقب الوخيمة المترتبة عليهما.

وفي ذلك يقول الحق – جل شأنه –: ﴿ وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ﴾[1] ويقول الرسول (ﷺ): {**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فيه، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**}[2].

وقد استلهم الشاعر (محمود الوراق) هذه المعاني الجليلة السامية، وطفق يدعو إلى هذا الخلق الإسلامي النبيل، إيماناً منه بأثره العميق في تعزيز روابط الأخوة الحقة بين أفراد المجتمع، والقضاء على كل ما من شأنه أن يعكر صفو تلك الروابط أو يحمل عراها، من حسد وحقد، وبغض وكراهية.

---

(١) سورة التغابن من الآية رقم (١٦).

(٢) صحيح البخاري – في بَابُ مَثَلِ المُتَصَدِّقِ وَالبَخِيلِ: ٢/١١٥.

ففي جميع النصوص التي نظمها (محمود الوراق) والتي عرض فيها للسخاء والكرم والإنفاق دعوة إلى التحلي بهذا الخلق القويم، سواء أجاءت هذه الدعوة مباشرة أو ضمنية في ذمه للبخل.

ومما جاء في ديوان (الوراق) من دعوة لهذا الخلق الرفيع، مستخدماً في ذلك التأمل العقلي كمساعد على إبراز المفهوم الإسلامي لتلك الفضيلة – قوله:

فكرت في المال وفي جمعه ... فكان ما يبقى هو الفاني

وكان ما أنفقت في أوجه الـ ... ـبر بمعروف وإحسان

هو الذي يبقى وأجزى به ... يوم يجازى كل إنسان

ومن فساد العرف إحصاؤه ... وذكره في كل إبان

فانشر إذا أوليت عرفا وإن ... أوليته فاستتر بنسيان(١)

أوضح الشاعر في الأبيات السابقة أن المال المنفق ابتغاء مرضات الله ورجاء الأجر والمثوبة في الآخرة هو الباقي، أما ما يكنز فهو الفاني لأنه لا يحقق لصاحبه نفعاً في الدنيا والآخرة، بل يخسره حينما يتركه خلفه ويكون عليه وبالاً في الآخرة حيث سيحاسب عليه أمام الله وحده.

كما نجده يعمق معنى السخاء حينما أضاف إليه الإحسان وهو الإنفاق دون مقابل حيث قد جعل الدافع والغاية من وراء ذلك ابتغاء الأجر من الله وحده، وهنا يلتقي المفهوم الخلقي مع المفهوم الإسلامي، ومن ثم يصبحان نوعاً من العبادة لله تعالى.

ومن المعلوم أن الشاعر (محمود الوراق) من أئمة الزهاد في عصره ولذا نجده يصبغ دعوته بالزهد، لأن الزهد يدعو إلى السمو الأخلاقي والنبل السلوكي، أي أنه

(١) الديوان: ١٩٥.

لا يكتفي بالمستوى العادي في الأخلاق والسلوك بل يرتقي به إلى أعلى الدرجات وأرفعها، وهو ما نلحظه هنا في الحث على الإحسان، وجعل النية فيه خالصة لله سبحانه، ولذا نجده يحذر الكريم من المن في العطاء، ويدعوه إلى ستره وإخفائه، بينما يدعو السائل بأن يذكر هذا العطاء وينشره، لأن في ذلك دعوة عملية للحض على الجود والكرم، وتعميقاً لمفهوم ذلك الخلق في المجتمع.

ولهذا نجده يدعو دعوة عملية إلى الزهد في ادخار الأشياء والإسراع نحو إنفاقها وانتظار الجزاء من الله في الآخرة فيقول:

وقالوا ادّخر ما حزته وجمعته لعقبك إن الحزم أدنى من الرّشد

فقلت سأمضيه لنفسي ذخيرة وأجعل ربّي الذخر للأهل والولد[1]

وفي إطار دعوته إلى السخاء والإنفاق نجده يحذر من مغبة الولوج في البخل؛ لأنه علامة على سوء الظن بالله فنجده يقول:

من ظنّ بالله خيرا جاد مبتدئا والبخل من سوء ظنّ المرء بالله[2]

ونلحظ هنا أن التحذير من البخل يصطبغ بصبغة إسلامية، لأن الشح وهو أصل البخل" يتولد عن سوء الظن وضعف النفس ويمد وعد الشيطان حتى يصير هلعاً، والهلع شدة الحرص على الشيء والشره به فتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده"[3] وهو مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾[4].

---

(١) الديوان: ١٠٧.

(٢) العقد الفريد: ١/١٩١.

(٣) الروح لابن القيم الجوزية–تحقيق/محمد إسكندر، دار الكتب العلمية–بيروت.

(٤) سورة المعارج الآيات: (١٩، ٢٠، ٢١).

ويرى الوراق أن البخل يجلب مزيداً من مساوئ الأخلاق على صاحبه وذلك مثل القدح في عرضه والإهانة لنفسه، وفقدان أصاحبه، وكشف لعيوبه، إذ يقول:

أخو البشر محمود على كل حالةٍ ولن يعدم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود للعرض حارس[1]

فعن طريق مراعاة النظير نجد (الوراق) في الأبيات السابقة يبرز لنا ظاهرة خلقية عند كثير من الناس وهى أن الناس تضع أكبر الاحترام والتقدير لصاحب السخاء والكرم، بينما تسلب هذا الاحترام والتقدير من صاحب الشح والبخل وتجعله عرضة للقدح والسباب أعاذنا الله من ذلك.

(١) الديوان: ١٣٤.

الفصل الثاني
السمات الفنية في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق عند (الوراق)

أولاً: الألفاظ والأساليب:

العمل الفني في جميع صوره يتحتم اعتباره وحدة مترابطة لا تنفصل إلى شكل ومضمون، وإنما يستغرق كل صاحبه ويحتم وجوده..... وإنما يمكننا افتراض وجودهما في حالة من الاندماج التام يستعصى مناقشة أحدهما دون التعرض للآخر، كما أن اعتبار الأعمال الفنية كائنات عضوية أي نامية متكاملة، لا نستطيع بتر جزء منها دون إيذاء العمل أو حتى قتله، فالنظرة العضوية يتلاشى أمامها الحاجز الموهوم بين الشكل والمضمون(١).

وفي ضوء ذلك تتطلب الدراسة الفنية للعمل الأدبي الوقوف على جزئياته المكونة له، للتعرف على خصائصه الدقيقة التي تتميز بها مراعاة ما بين هذه العناصر من ارتباط فني وثيق يهب العمل الفني حياته وكماله.

الألفاظ: الشاعر الجيد هو الذي يستطيع أن يوائم بين ألفاظه ومعانيه، فيرق عندما يتطلب منه المقام ذلك، ويجزل ويشتد في المواطن التي تتطلب منه تلك الجزالة والشدة.

والناظر في ألفاظ شعر (محمود الوراق) الذي دار حول مكارم الأخلاق يرى أنها تتسم بالسهولة والبساطة، ولكن من غير ابتذال وركاكة، وما من شك أن هذا الوضوح وتلك السهولة والبساطة، قد ضمنت لشعره الذيوع والانتشار في جميع الأوساط، وسهلة حفظه واستدعائه في المواقف والمواعظ، وتداوله

(١) النقد التحليلي، د. محمد عناني، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت): ٦٨.

على ألسنة العامة، ولنقرأ مثلا قوله في الدعوة إلى الصبر على المصائب والمكاره:

تعزّ بحسن الصّبر عن كل ففي الصبر مسلاة الهموم اللوازم

إذا أنت لم تسل اصطبارا وحسبة سلوت على الأيام مثل البهائم

وليس يذود النفس عن شهواتها من الناس إلا كل ماضي العزائم(١)

والناظر في الأبيات السابقة يجدها مثالاً للسهولة واليسر والوضوح، من غير إسفاف ولا ابتذال، ومع ذلك تراها قوية في أداء المعنى المراد، من غير إيجاز مخل ولا إطناب ممل، ولهذا تجدها تخالط النفوس وتعلق بها.

ولنطالع أبياتاً أخرى يدعو فيها الغنى إلى الجود والإنفاق في حياته، وأن يتمتع بماله قبل الممات، إذ يرى أنه لا خير في مال يدعه الإنسان لورثته وبخاصة أنهم سينسونه بعد حين، ويحرم نفس من التمتع بالطيبات وادخار الحسنات، فيقول:

تمتع بمالك قبل الممات وإلا فلا مال إن أنت متا

شقيت به ثم خلفته لغيرك سحقاً وبعداً ومقتا

يجود عليك بزور البكاء وجدت له بالذي قد جمعتا

وأوهبته كل ما في يديك وخلاك رهناً بما قد كسبتا(٢)

فنلاحظ في الأبيات السابقة أنه ينساب في يسر وسهولة، فلا تحتاج وأنت تطالعها الرجوع إلى كتب المعاجم لتستفسر عن معنى لفظة من الألفاظ، فكلها

(١) الديوان: ١٨١، والمحاضرات والمحاورات: ٢٨٢.

(٢) الديوان: ٣٩، وغرر الخصائص الواضحة: ٣٠١، ولباب الآداب: ١٢٢.

قريبة من المتلقي، ورغم عن ذلك تجدها قوية الدلالة على المعنى المراد، فهي تتصف بالتقريرية والمباشرة، ولكن من غير فجاجة ولا ضحالة، وهذه أمور تتطلبها الدعوة، وذلك لتكون أكثر ذيوعاً وانتشاراً وبقاءً بين أوساط المجتمع.

أما الأسلوب: فهو اتجاه الأديب وطريقته في النظم والتأليف، على نحو يختص به ويميزه عن غيره من الأدباء(١).

ولقد جاءت أساليب الشاعر (الوراق) في شعره الذي دار حول مكارم الأخلاق متنوعة وهذا رصد لبعض الأساليب التي استعملها في الدعوة إلى الأخلاق الفاضلة.

- التنوع في الجمل الإنشائية، مما يكسب أساليبه رونقاً وتنوعاً وملائمة للمعاني المطروقة، فهو تارة يستخدم أسلوب الأمر في التوجيه إلى خلق حسن وأكثر من ذلك في شعره، فيقول داعياً إلى الصبر والتوكل:

اصبرْ على الظلم ولا تنتصر فالظلم مردود على الظالم

وكِلْ إلي الله ظلوماً فما ربى عن الظالم بالنائم(٢)

ويقول في الحض على الصدق والتنفير من الكذب مستخدماً صيغة الأمر أيضاً:

أصدق حديثك إن في الـ صدق الخلاص من الدنس

ودع الكذوب لشأنه خير من الكذب الخرس(٣)

وتارة يستخدم النهى للصد عن الأخلاق الذميمة، فيقو ل ناهياً عن الحسد:

---

(١) في ميزان النقد الأدبي، د/طه أبو كريشه، الطبعة الأولى – عام ١٩٨٦م:٤٧.

(٢) الديوان: ١٨٠، وبهجة المجالس: ٣٦٧/١.

(٣) الديوان: ١٣٣، وبهجة المجالس: ٥٧٣/١.

لا تحسدن أخاك وارع له ... عليه على الأيام عهده

حسد الصديق صديقه ... وأخاه من سقم المودة[1]

ويدعو إلى الصبر، وينهى عن الحرص والخضوع للزمان والاستسلام له فيقول:

الحرص عون للزمان على الفتى ... والصبر نعم العون للأزمان

لا تخضعن فإن دهرك إن رأى ... منك الخضوع أمده بهوان[2]

ويستخدم أسلوب الشرط مكوراً ليؤكد على خلق قويم، فنجده يدعو إلى القناعة مطبقاً ذلك على نفسه، متخذاً من ذلك مثلا يحتذي فيقول:

ورأيت أسباب القنوع منوطة ... بعرا الغنى فجعلتها لي معقلاً

فإذا نبا بي منزل لا يرتضى ... جاوزته واخترت عنه منزلاً

وإذا غلا شيء عليَّ تركته ... فيكون أرخص ما يكون إذا غلا[3]

ومن استخدامه لأسلوب الاستفهام، وذلك في الدعوة إلى القناعة، والتوكل على الله في طلب الرزق، وعدم التعرض بالمسألة لغير الله –سبحانه– قوله:

أتطلب رزق الله عند غيره ... وتصبح من خوف العواقب آمناً[4]

---

(١) الصداقة والصديق، لأبي حيان التوحيدي، تحقيق– الدكتور إبراهيم الكيلاني– دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان،الطبعة: الأولى عام ١٩٨٩م: ٣٤٦.

(٢) الديوان: ١٩٤.

(٣) الديوان: ١٦٥.

(٤) الديوان: ١٨٩.

كما نجده كثيراً ما يستعمل (كم) في سياق ذم الأخلاق الذميمة، والسلوك المشينة، مثل الحرص، فالإنسان لا ينفعه الحرص، لأن الله (ﷻ) كفل الرزق لعباده ﴿ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]، قال (الوراق):

كم إلى كم أنت للحر ص ولآمال عبد؟

ليس يجدي الحرص والسّـ ـعي إذا لم يك جدّ

ما لما قد قدّر الله من الأمر مردّ[2]

- استخدام المحسنات البديعية بغير تكلف أو إسراف، ومذهبه في ذلك أقرب إلى الطبع والذوق السليم من أي شيء آخر، ولا نعدم في استخدامه للبديع أن يتخذه وسيلة جمالية – بجانب وظيفته المعنوية – لإضفاء الروعة على شعره وتزين تراكيبه، وإحداث إيقاع موسيقي يزيد في جمال الأسلوب وطلاوة المعنى، والانطلاق به في رحاب أوسع.

فنجده يتجه بالطباق– والذي تردد بوفرة في شعره الذي دار حول مكارم الأخلاق – إلى تعميق مفهوم القناعة فيقول:

إن القناعة ما علمت غنى والحرص يورث ذا الغنى فقرا[3]

فنجد أن الطباق بين (القناعة والحرص)، و (الغنى والفقر) قام بعملية فرز لمفردات كل خلق، فمفردات القناعة تتجه وجهة مغايرة لمفردات الحرص ومعانيه، إذ الأولى تتجه إلى الغنى بينما تتجه الثانية إلى الفقر، أي أن القناعة والحرص لا يختلفان في طبيعة كل منهما فحسب بل يختلفان كذلك في غاية كل

(١) سورة النور من الآية رقم (٣٨).

(٢) الديوان: ٢١٤.

(٣) الديوان: ١١٢.

منهما، وهذا الاختلاف في الباعث والطبيعة والغاية لكل من الخلقين يعطى عمقاً لمفهوم كل من الخلقين.

ومنه قوله في تدعيم خلق الكرم والتنفير من البخل:

من ظنّ بالله خيــرا جــاد مبتــدئا والبخل من سوء ظنّ المرء بــالله[1]

فقد طابق الشاعر بين (الخير والسوء) وبين (الجود والبخل).

كما نجده يستخدم التصدير، وهو من أكثر الألوان البديعة استعمالا عنــده، ويقصد به عند ابن رشيق: "أن يرد أعجاز الكلام على صدوره، فيــدل بعــضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتــضيها الــصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقــاً وديباجــة، ويزيــده مائيــة وطلاوة"[2]، ومن أمثلة هذا اللون عنده:

وما يبلغ الإنعام في النفــــع غاية على المرء إلا مبلغ الشكر أفــضــل

وما بلغت أيدي المسلمين بــسطة من الطول إلا بسطة الشكر أطول[3]

وغير خاف ما أحدثه هذا اللون البديعي في البيتين السابقين من نغم تطرب له الآذان، كما استخدمه الشاعر في التأكيد على قيمة الشكر، من كونــه غايــة الغايات، وأفضل ما يتجه به العبد إلى رب العباد.

كما نجد (الوراق) يستخدم الاقتباس والتضمين وسيلة وســبيلاً فــي إقنــاع المتلقي إلى ما يدعوه إليه، فنلاحظ أنه اتكأ على هــذا الأســلوب فــي أغلــب النصوص التي نظمها في الدعوة إلى القيم النبيلة، ولهذا أطلــق عليــه شــاعر الحكمة الموعظة الحسنة، فلا يكاد يمر بك نص من هذه النــصوص إلا وأتــي

(١) الديوان: ٢٠٣.

(٢) العمدة: ٣/٢ طبعة دار الجيل ١٩٨١/٥م.

(٣) الديوان: ٢٦٢.

فيها باقتباس وتضمين لمعنى القرآن الكريم والحديث الشريف، فمن أمثلة الاقتباس من القرآن الكريم قوله:

فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد لعزة نفس أو علو مكان

لما أمر الله الحكيم فقال اشكروا لي أيها الثقلان[1]

وهذا اقتباس من قوله تعالى: ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ ﴾[2].

ومن أمثلة التضمين لمعاني الحديث الشريف في التأكيد على خلق الكرم وطلاقة الوجه، وذم البخل قوله:

أخو البشر محمود على كل ولن يعدم البغضاء من كان عابسا

ويسرع بخل المرء في هتك عرضه ولم أر مثل الجود للعرض حارسا[3]

فقد ضمن (الوراق) في البيتين السابقين بعض المعاني التي وردت في أقوال الرسول (ﷺ)، فمن تمام الجود أن تلقي أخاك بوجه طلق، وهذا ما يضمن للإنسان حسن السيرة، والمحمدة عند الله سبحانه وعند عباده، وهذا ما اشتمل عليه قول الرسول (ﷺ): {**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**}[4]، وفي البيت الثاني نجده يشتمل على التوجيه النبوي في ذم البخل، ومدح الجود والكرم، نري ذلك في قوله (ﷺ): {**إِنَّ الْبَخِيلَ بَعِيدٌ مِنَ اللَّهِ**

(١) الديوان: ١٩٦.

(٢) سورة البقرة الآية رقم (١٥٢).

(٣) الديوان: ١٣٤.

(٤) الحديث ورد في المسند الصحيح المختصر: ٢٠٢٦/٤، برقم (٢٦٢٦).

(ﷺ)، بَعِيدٌ مِنَ النَّاسِ، بَعِيدٌ مِنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِنَ النَّارِ، وَلَجَاهِلٌ سَخِيٌّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ (ﷻ) مِنْ عَابِدٍ بَخِيلٍ، وَإِنَّ أَدْوَى الدَّاءِ الْبُخْلُ}[1].

- وقد يتخذ (الوراق) في سبيل الدعوة إلى مكار الأخلاق الإثارة العقلية التي تقوم على أسلوب التفلسف واستخدام الحجاج والقياس المنطقي، فنجده مثلا يدعو إلى القناعة مستخدماً هذا الأسلوب فيقول:

إن القناعة ما علمت غنى والحرص يورث ذا الغنى فقراً[2]

حيث قد استخدم القياس المنطقي ليقرر هذه المفارقة، وهى أن القناعة هي الغنى الحقيقي، وأن الجشع هو الفقر وإن كان صاحبه يملك مالاً كثيراً.

ثانياً: الصورة الشعرية:

تعد الصورة من أهم عناصر تكوين النص الشعري، لأن الشعر إن خلى من التصوير والخيال أصبح شيئاً بارداً ومن ثم لا يجذب المتلقي ولا يؤثر فيه، وذلك لأن الشعر هو لغة الخيال والمشاعر والأحاسيس.

فالشاعر المفلق هو الذي يستطيع عن طريق الصورة أن "يشكل أحاسيسه وأفكاره وخواطره في شكل فني محسوس، وبواسطتها يصور رؤيته الخاصة للوجود وللعلاقات الخفية بين عناصره"[3].

---

(١) الحديث ورد في كتاب مساوئ الأخلاق ومذمومها، لأبى بكر الخرائطي، تحقيق وتعليق/مصطفى بن أبى النصر الشلبي، مكتبة – السوادي للتوزيع بجده، ط ١: ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م: ١٧٠، برقم (٣٦٠).

(٢) الديوان: ١١٢.

(٣) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د– على عشري زايد، مكتبة الشباب عام ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م: ٧٣.

وحينما يعتمد الشاعر على التصوير في بنائه الشعري فإنه يسعى من وراء ذلك إلي التأثير في وجدان المتلقي، وحمله على التفاعل معه فيما يلقيه عليه سلباً أو إيجاباً، والصورة بناء على ذلك" ليست زينة شكلية، أو حلية مصطنعة، وإنما أساسية لتوصيل الخبرة والتعبير عن الرؤية"(١).

والناظر في شعر (محمود الوراق) الذي يدعو فيه إلى مكارم الأخلاق يجد أنه قد استعان بالصورة، وذلك على الرغم من بساطته وسهولته وميله في الأعم الأغلب إلى التقريرية والتعبير المباشر، فنجد كثيراً من التعبيرات المجازية، وهي صور غير قليلة، ولكنها تتسم بالبساطة والصدق، والدقة في التعبير عن الفكرة التي يريد أن يقدمها إلى متلقيه.

ففي إطار دعواه إلى شكر الله على نعمة المال نجده يؤكد على ذلك باستخدام الصورة عن طريق التشبيه، فيقول:

أعارك ماله لتقوم فيه بطاعته وتقضى فضل حقه(٢)

فشبه المال الذي هو من عطاء الله لعباده بالعارية، وذلك ليؤدى العبد فيه حق ربه بالشكر، والشكر هو أن تقر بالنعمة للمنعم، وأن تستعمل النعمة في طاعة المنعم، وكثير ما يستعمل هذه الصورة التشبيهية ففي أبيات أخرى نراه يشبه الأولاد والأهل والأموال بالعوارى التي لابد أن تسترد، فيقول:

وما أولادنا والأهل فيها ولا أموالنا إلا عواري

وأنفسنا إلى أجل قريب سيأخذها المعير من المعار(٣)

---

(١) جماليات القصيدة المعاصرة، د- طه وادي، دار المعارف بمصر عام ١٩٩٤م: ٢١٤.

(٢) الديوان: ١٥٤.

(٣) الديوان: ١٢٤.

وهذه الصورة ذات مخزون ديني تدل على ثقافة (الوراق) وإدامة النظر في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

ومن صوره القائمة على الاستعارة والتي يجسد فيها الصبر ويجعله من قبيل المحسوسات، قوله:

الصبر أمضى سلاح ذي الأرب فاقمع به حد سورة الأدب(١)

فقد جعل الصبر من أفضل الأسلحة التي يواجه بها المرء الحياة ولهذا نجده يقول في موضع آخر:

إني رأيت الصبر خير معول في النائبات لمن أراد معولاً(٢)

ويقول أيضاً:

الحرص عون للزمان على الفتى والصبر نعم العون للأزمان(٣)

ويقول مجسداً للصبر أيضاً عن طريق الصورة الاستعارية أيضاً:

فحركت جناح الصبر لما مسك الضر(٤)

فقد شبه الصبر بالطائر وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الجناح وذلك على سبيل الاستعارة المكنية، وذلك ليدل على أن الصبر أسرع في الأخذ بيدي صاحبه، وأكثر ملازمة له في الشدائد.

وتارة نجده يجعل من الصبر معلماً فيقول:

---

(١) الديوان: ٨٢.

(٢) الديوان: ١٦٥.

(٣) الديوان: ١٩٤.

(٤) الديوان: ٢١٨.

لـــو قـــدَّم الحـــزم فـــي أمـــره لعلَّمـــه الـــصبر عنـــد الـــبلا[1]

وفي إطار دعوته إلى السخاء والإنفاق ونهيه عن البخل نجده يـصور لنـا رجلاً بخيلاً يدعى بأبي عثمان، فيصور بخله تصويراً ساخراً، لكـن بطريقـة الداعية الذي يبنى ولا يهدم، وذلك عن طريق التصوير الكنائي، فيقول:

دجاج أبى عثمـان أبعـد منظـراً وأطول أعماراً من الشمس والقمر

فإن لم نمت حتـى نفـوز بأكلهـا حييت بإذن الله ما أورق الشجر[2]

فهذه صورة فنية رائعة فضلاً عن كونها طريفة ومبتكرة، توفرت فيها كـل العناصر الفنية التي تجعل منها لوحة فنية متكاملة، لقد أبرز فيها دجـاج أبـى عثمان البخيل هذا بأنه طويل العمر كالشمس والقمر، وهذا كناية عن عدم ذبحه لهذا الدجاج، ثم أوضح أنه من ينتظر أكل هذا الدجاج – إن أهملـه المـوت – فسينتظر أمداً بعيداً مستمراً ما أورق الشجر.

وهكذا رأينا الشعر الذي دعا فيه (الوراق) إلى الأخلاق النبيلة لم يخل مـن صور فنية مبتكرة، تتردد فيه بين الحين والآخر، كما استطاع بموهبته الشعرية أن يوظفها في خدمة الأخلاق التي أراد التأكيد عليها توظيفاً موفقاً، متكأ علـى المخزون الديني والثقافي، كما اتسمت هذه الصور بالصدق والتأثير.

(١) الديوان: ٢٢٩.

(٢) الديوان: ١١١.

ثالثاً: الموسيقى الشعرية:

إن من أهم ما يميز الشعر عن غيره من الأعمال الأدبية الأخرى الموسيقى، إذ تعد الموسيقى عنصراً مهماً وأساسياً في بناء النص الشعري، فهي ليست حلية خارجية تضاف إليه، وليست مجرد أصوات تتردد فتطرب بذاتها، وإنما هي جزء لا يتجزأ من العمل الشعري، وإحدى الأدوات التي يعتمد عليها الشاعر للتأثير في نفس المتلقي، لأن الموسيقي" هي التي تخلق الجو،.... وتوحي الظلال الفكرية والعاطفة لكل معنى، وقد تكون تلك الظلال أكثر فاعلية في النفس من المعنى المجرد، بحيث يعتبر ضعف الموسيقي في الشعر إنقاصاً شديداً من قرته على التعبير والإيحاء"(١).

وتظهر البنية الموسيقية في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق عند (محمود الوراق) في أمرين: الموسيقى الخارجية المتمثلة في البحر والقافية، والموسيقي الداخلية وتتمثل في تركيب الأصوات في البيت الشعري، وجرس الحروف وما يظهر من فنون البديع في ألفاظ الشاعر كالجناس والطباق والسجع.

ولنتوقف أولاً عند الموسيقي الخارجية في الشعر الذي عرضنا له بالدراسة.

الوزن: وهو عمود الشعر وعليه يرتكز الشعراء في تنغيم أشعارهم وتوفير ما يلائمها من البحور الشعرية المختلفة، ولقد نظم (الوراق) أبياته التي دعا فيها إلى مكارم الأخلاق على الأوزان الخليلية ممثلة في عشرة أبحر، يأتي (الكامل) في مقدمتها من حيث عدد الأبيات، ويليه بحر (الطويل) و(السريع)، وفيما يلي أقدم إحصاءً بعدد البحور وعدد الأبيات التي نظمها الشاعر على كل بحر:

---

(١) الشعري المصري بعد شوقي، د- محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت): ١٠٣.

البحر	الكامل	الطويل	السريع	مجزوء الهزج	الوافر	الخفيف	الرمل	المتقارب	مجزوء الرجز	المنسرح
عدد الأبيات	٣٣	٣٠	٩	٨	٤	٢	٢	١	١	١

ومن خلال حصرنا للبحور والأوزان التي نظم الوراق عليها شعره في مكارم الأخلاق، يتبين لنا أن (الوراق) قد راح في نظمه بين الأوزان التقليدية ذات الإيقاع الرصين والنبرة الخطابية العالية، كالكامل، والطويل، والوافر، وبين الأوزان ذات الإيقاع اللين المنغومة النبر التي أكثر منها شعراء العربية بصفة عامة وشعراء العصر العباسي بصفة خاصة من النظم عليها، كالرمل والخفيف ومجزوء الكامل والسريع والمتقارب.

وأحسب أن تلك المراوحة بين الأوزان الشعرية التي نظم عليها، وشيوع وزن على حساب الآخر، واختفاء بعض الأوزان من الشعر الذي دار حول مكارم الأخلاق، راجع في الأساس إلى طبيعة التجارب التي عاناها الشاعر، والعواطف والانفعالات التي سعى إلى التعبير عنها وتجسيدها.

القافية: قال الأخفش: إنها الكلمة الأخيرة من البيت، وقال الخليل والجرمي: إنها مجموع الساكنين اللذين في آخر البيت وما بينهما من المتحركات والمتحرك الذي قبل الساكن الأول وهذا هو الراجح كما ذكر الشيخ الصبان[1]،

(١) موسيقى الشعر، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٨١م: ١٧٨.

ومن ثم فإن القافية على هذا المذهب – وهو الصحيح – تكون مرة بعض كلمة ومرة كلمتين [١].

لقد بنى (الوراق) شعره الذي دعا فيه إلى مكارم الأخلاق على ثمانية أحرف جعلها روياً لمقطوعاته والجدول الآتي يقدم إحصاءً بعدد المقطوعات الخاصة بكل حرف من حروف قوافيه:

حروف الروي	ب	ت	ر	س	ق	ل	م	ن
عدد المرات	٦	١	١٠	١	٢	٣	٦	٣

من خلال هذا الإحصاء يتبين أن (الوراق) قد تخير لمقطوعاته التي دعا فيها إلى مكارم الأخلاق والتي عرضنا لها من قبل ثمانية أحرف، يأتي في مقدمتها حرف (الراء) حيث كرره عشر مرات، ويتلوه من حيث الكثرة حرف (الباء)، وحرف (الميم) فقد كرر كل منهما ست مرات، ثم تتوالى الأحرف الباقية بعد ذلك بنسب قليلة متفاوتة، وقوافيه التي تخيرها في مجملها من الحروف المحببة والمطروقة من قبل الشعراء، ويدعوها (المجذوب) بالقوافي الذلل، وهى الباء، والراء، والتاء، والميم..[٢].

(١) ينظر: العمدة لابن رشيق: ١/١١٠-١١١.

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د/عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر: ١/٤٤.

وإلى مثل هذا القول ذهب (الشايب) في حديثه عن الروي الصالح للقافية فقال: "وهناك حروف تصلح للروي فتكون جميلة الجرس، لذيذة النغم، سهلة التناول، وعدمنها: الباء، والراء، واللام....[١].

وقد تجنب (الوراق) في رويه بعض الحروف مثل: الجيم، والخاء، والثاء، والذال، والزاي، والشين، والصاد، والظاء، والغين، والكاف، والهاء، والواو، ولعله قد أدرك بحسه الموسيقي أن تلك الحروف ليس لها عطاء موسيقياً، وغير قادرة – بسب جرسها الصوتي – على التأثير في أسماع الناس وشد انتباههم، وهى إلى جانب ذلك – باستثناء الجيم، والواو، والثاء، والهاء – تدخل في نطاق القوافي النفر التي يقل استعمالها، والقوافي الحوش التي لا تكاد تستعمل [٢].

ثانياً: الموسيقي الداخلية:

من قراءاتنا للنصوص التي دارت حول مكارم الأخلاق في شعر محمود الوراق، نلاحظ أن اهتمامه بالموسيقي الداخلية لا يقل عن اهتمامه بالموسيقي الخارجية.

وتأتى عناية الشاعر بموسيقاه الداخلية من عنايته بالألفاظ، واللفظ عبارة عن مجموعة من الأصوات التي تحدثها الحروف على نحو منسجم وانسجام الأصوات في اللفظ دليل على جماله الموسيقي، وسر فصاحته، ولذا وصف علماء البلاغة اللفظ إذا خلا من تنافر الحروف ومن الغرابة بأنه فصيح وجزل

(١) أصول النقد الأدبي، د. أحمد الشايب، مطبعة الاعتماد، ط٢عام ١٩٤٢م: ٣٢٢-٣٢٣ (بتصرف).

(٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب: ١/٤٤-٦٦.

وسلس وشديد الأسر، وصافى الديباجة، ونحو ذلك من النعوت والأوصاف الجميلة [١].

فأكثر ما تتمثل فيه تلك الموسيقي في وضع الكلمة في موضعها، والحرف داخل الكلمة في موضعه، وتنوعها من حيث الجهر والهمس، والشدة والرخوة، والانطباق والانفتاح، والعلو والانخفاض.

ومن النماذج التي يمكن سوقها للوقوف على وجود الموسيقي الداخلية في إسهامات شاعرنا في المجال الأخلاقي، فمن ذلك قوله في الحض على السخاء وذم اكتناز المال والبخل به:

يا رب مال لغير من جمعه ... ورب زرع لغير من زرعه

ليس مع البخل للبخيل غنى ... ولا مع الحرص للحريص دعه

فكن مع القصد حيث مال بك الـ ... ـعقل إلى القصد، فالسداد معه

من صادف الدهر في تصرفه ... ورام للجهل خدعة خدعه[٢]

والمتأمل في الأبيات السابقة يجدها قد خلت من العيوب التي تخل بفصاحتها، كما نلمح السلاسة والسهولة والعذوبة، وكذلك نجد تناغما أحدثه التزاوج من خلال التكرار في الكلمات (ربَّ، وربَّ)،و (زرع، زرعه)،و (البخل، للبخيل)، و (الحرص، للحريص)، و (القصد، والقصد)، و (خدعة، خدعه).

ومن استخدامه للتكرار الصوتي المتواتر أيضا قوله يدعو إلى الصدق ويحذر من مغبة الوقوع في الكذب:

---

(١) المصدر السابق: ٢/٤٥٩.

(٢) الديوان: ١٤٧.

كـــذبت ومـــن يكـــذب فـــإن إذا ما أتى بالـــصـــدق ألا يـــصـــدقا

ومن إذا عرف الكذاب بالكذب لـــم لدى الناس كذاباً وإنّ كـــان صـــادقا

ومن آفة الكذاب نـــســـيان كذبـــه وتلقـــاه ذا ذهن إذا كان حاذقـــا[1]

فمن الواضح هنا أن الشاعر في إطار دعوته للصدق نراه قد كـــرر كلمـــة الصدق ثلاث مرات بصيغها المختلفة (الصدق – يصدَّق – صِدْقاً) وفـــي هـــذا الأسلوب إحداث للتناغم الذي يجذب القارئ ويبعد عنه الرتابة، كما نجده يحـــذر من الكذب فيكرره في الأبيات الثلاثة أيضا بصيغه المختلفة (كذبت – يكـــذب – الكذَّاب – الكذب – كذاباً – الكذَّاب – كذبه)، وفي هذا دلالـــة علـــى خطـــورة الكذب، ومن هنا كان الصمت أفضل وأولى من التفوه بالكـــذب، فـــإلى جانـــب التأكيد على هذا المعنى رأينا كيف أحدث التكرار بصيغ مختلفـــة إلـــى إحـــداث موسيقي داخل الأبيات وذلك دون أن يحدث ملل للقارئ ولا إخـــلال بفـــصاحة الكلمات، كما صاحب هذا التكرار النمطي تكرار لبعض الحروف للغاية ذاتهـــا، ففي الأبيات الثلاث: كرر حرف الكاف، والباء، والـــذال، والـــصاد، والقـــاف، والدال، والسين، والنون، ومثل هذا التكرار النمطي لحروف بعينها تعكس ميـــل الشاعر بطبعه نحو التناغم، وإيقانه بقوة تأثيره النفسي، ووقعه في الآذن، كما لا يخفى قوة عاطفة الشاعر وانفعاله الحار بالتجربة كعامل من عوامل هذا التكرار النمطي لألفاظه وحروفه.

كما نجده يحرص كذلك على استخدام بعض الألوان البديعيـــة ذات الـــنغم الموسيقي العالي كالطباق، وهو يقع في أشعاره كثيراً ولكن وفق الحاجة، وأعنى بذلك أنه لا يتكلف، وخير مثال على ذلك قوله في الشكر:

---

(١) الديوان: ١٥٢.

إذا كان شكري نعمة الله نعمة ... علىّ له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر إلّا بفضله ... وإن طالت الأيّام واتّصل العمر

إذا مسّ بالسرّاء عمّ سرورها ... وإن مسّ بالضراء أعقبها الأجر

وما منهما إلّا له فيه نعمة ... تضيق بها الأوهام والبرّ والبحر(١)

فبالإضافة إلى العزف على التكرار النمطي والتكرار لبعض الحروف نجده يستخدم بعض النغمات الأخرى وهى الإتيان بالمعنى وضده في (السراء – والضراء)، و (البر – والبحر).

ومن استخدامه للجناس وهو أحد الألوان البديعية التي ينتج عن استخدامها تناغماً داخلياً فمن أمثلة ذلك قوله يدعو إلى الصبر:

الصبر أمضى سلاح ذي الأرب ... فاقمع به حد سورة الأدب(٢)

فنلاحظ الجناس بين الأرب والأدب وهو من باب الجناس الناقص، ويمكن إلحاقه من باب التصريع أيضاً.

ومن مظاهر الموسيقي الداخلية حرص الشاعر في شعره على التصريع وهو:" ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه وتزيد بزيادته"(٣).

---

(١) الديوان: ١٢١.

(٢) الديوان: ٨٢.

(٣) العمدة لابن رشيق: ١٧٣.

وقد أشار الأستاذ/على الجندي إلى أهمية التصريع وقيمته الموسيقية، ويظهر ذلك في قوله: "والتصريع – في حقيقته – ليس إلا ضرباً من الموازنة والتعادل بين العروض والضرب، يتولد منها جرس موسيقي رخيم"(١).

ومنه ما جاء في قول الوراق يدعو إلى العفو والصفح:

إني شكوت لظالمي ظلمي وغفرت ذاك له على علمي(٢)

ومنه قوله أيضاً:

لا بر أعظم من مساعدة فاشكر أخاك على مساعدته

وإذا هفا فأقله هفوته حتى يعود إليك كعادته(٣)

(١) الشعراء وإنشاد الشعر، على الجندي، دار المعارف – القاهرة، عام ١٩٦٩م: ١٣٤.

(٢) الديوان: ٢٣٦.

(٣) الديوان: ٩٢.

الخاتمة

بعد أن وفقني الله (ﷻ) لإتمام هذا البحث الذي تناول أكثر مكارم الأخلاق وروداً في شعر محمود الوراق، فإنني أجمل بعض النتائج التي أسفر عنها البحث فيما يلي:

١- الأخلاق قديمة بقدم التاريخ البشرى، حيث وجدت بقايا من مكارم الأخلاق في الجاهلية، ولكن هذه الأخلاق فرضتها العصبية القبلية، إذ كان التحلي بهذه الأخلاق من قبيل الولاء والانتماء للقبيلة.

٢- لقد أقر الإسلام للعديد من المكارم الأخلاقية التي كانت ميراثاً من الحياة الجاهلية، ولكن عمل على تهذيبها وتعديلها، وجعلها من قبيل الإخلاص والولاء لله وحده بدلا من التوجه بها للقبيلة.

٣- هناك قاسم مشترك بين الشعر والأخلاق حيث يلتقيان في هدف واحد، فالشعر يسمو بالمشاعر الإنسانية، والأخلاق ترتقي بالمجتمع، ولهذا وجدنا مجموعة من الشعراء يتغنون بمكارم الأخلاق على مر العصور والأزمان.

٤- لقد كان حرص محمود الوراق على الأخلاق النبيلة نابع من إخلاصه لمجتمعه، ولهذا نادي بهذه الأخلاق وحذر من أضدادها، وذلك للمحافظة على سلامة مجتمعه من الأدواء والعلل التي ستنتج عن انهيار هذه الأخلاق.

٥- الشعر الذي نظمه الوراق حول مكارم الأخلاق شعر سامٍ وبناء، سعى به إلى إيجاد مجتمع خالي من العيوب، أو كردة فعل لاتجاهات المجون والزندقة التي تفشت في المجتمع العباسي آنذاك.

٦- شعر مكارم الأخلاق شعر تسمو فيه القيم والمبادئ والمثل العليا التي أرستها الرسالة الإسلامية الغراء وشريعتها السمحة، ولذا تجد شاعرنا قد اقتبس

كثيراً من ألفاظ القرآن الكريم والحديث الشريف، واتكأ عليهما في أساليبه، واستمد منهما العديد من صوره.

٧- لقد توفر لشعر محمود الوراق الذي دار حول مكارم الأخلاق الصدق العاطفي، والتفوق الفني في الأسلوب والصور والموسيقي.

٨- لقد استطاع الشاعر من خلال البساطة في الألفاظ والأفكار أن ينفذ إلى قلوب العامة وأن ينتشر شعره بهذه الأخلاق في جميع الأوساط، كما ضمن له البقاء والاستمرار.

وختاما فقد بذلت في هذا البحث المتواضع جهدي، فإن وفقت لما رمت إليه فبفضل الله تعالى وتوفيقه، وإن كانت الأخرى فحسبي أنني اجتهدت ولم أدخر جهداً ولا وقتاً في سبيل انجازه، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، والحمد لله أولاً وأخراً، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى أله وصحبه وسلم.

****

دكتور

حامد سعد على خضرجي جاويش
مدرس الأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين بدسوق

المصادر والمراجع

(١) القرآن الكريم.
(٢) أحسن ما سمعت، للثعالبي – دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.
(٣) أخبار الظراف والمتماجنين، للجوزي، تحقيق – بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم – بيروت، ط ١ –١٩٩٧م.
(٤) الأخلاق في الإسلام –النظرية والتطبيق، تأليف: الدكتورة/ إيمان عبد المؤمن سعد الدين، مكتبة الرشد.
(٥) الأدب المفرد (صحيح البخاري)، للبخاري، ت– تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت، ط: الثالثة ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.
(٦) أصول النقد الأدبي، د– أحمد الشايب، مطبعة الاعتماد، ط٢ عام ١٩٤٢م.
(٧) بهجة المجالس وأنس المجالس، لأبى عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي.
(٨) تاريخ بغداد، للبغدادي – تحقيق: د/بشار عواد معروف – دار الغرب الإسلامي – بيروت، الطبعة الأولى: عام ١٤٢٢هـ – ٢٠٠٢م.
(٩) تاريخ بغداد، للبغدادي، تحقيق/مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١–١٤١٧هـ.
(١٠) التيار الإسلامي في شعر العصر العباسي الأول، تأليف/د– مجاهد مصطفى بهجت، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، العراق بغداد، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ – ١٩٨٠م.
(١١) جماليات القصيدة المعاصرة، د– طه وادي، دار المعارف بمصر عام ١٩٩٤م.

(١٢) زهر الآداب وثمر الألباب، للحصري القيرواني، دار الجيل –بيروت (د. ت).

(١٣) سمط اللآلي:للبكري، تحقيق– عبد العزيز الميمني، مطبعة التأليف والترجمة، القاهرة: ١٣٥٤هـ – ١٩٣٦م.

(١٤) سير أعلام النبلاء – للذهبي (٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٩٨٢م –١٩٨٣م.

(١٥) الشعر والمجتمع الجاهلي، د/حسنى عبد الجليل يوسف، مكتبة النهضة المصرية،القاهرة، بدون تاريخ.

(١٦) الشعري المصري بعد شوقي، د/محمد مندور، دار نهضة مصر للطبع والنشر، (د.ت).

(١٧) الصداقة والصديق، لأبى حيان التوحيدي، تحقيق– الدكتور إبراهيم الكيلاني– دار الفكر المعاصر – بيروت لبنان،الطبعة: الأولى عام ١٩٨٩م .

(١٨) صيد الأفكار في الأدب والأخلاق والحكم والأمثال – تأليف/القاضي حسين بن محمد المهدي –وزارة الثقافة– دار الكتاب عام ٢٠٠٩م.

(١٩) طبقات الشعراء، لابن المعتز،تحقق: عبد الستار أحمد فراج: دار المعارف –القاهرة، ط:٣.

(٢٠) علم الأخلاق الإسلامية، تأليف: الدكتور/مقداد يالجن، دار عالم الكتب – الرياض – ط٢: ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٣م.

(٢١) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبى الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي، تحقيق، وتعليق، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط: الخامسة عام ١٤٠١هـ – ١٩٨١م.

(٢٢) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، د- على عشري زايد، مكتبة الشباب عام ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

(٢٣) الفاضل- لأبى العباس المبرد - دار الكتب المصرية، القاهرة - الطبعة: الثالثة، ١٤٢١ هـ.

(٢٤) الفكر الأخلاقي العربي، د/ماجد فخرى، فصول منتزعة الأهلية - للنشر والتوزيع - بيروت ١٩٧٩م.

(٢٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، تأليف - الدكتور/شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية عشرة، (د- ت).

(٢٦) فوات الوفيات، تأليف - محمد بن شاكر الملقب بصلاح الدين، تحقيق إحسان عباس - دار صادر بيروت، ط ١ عام ١٩٧٣م: ٧٩/٤، وجاء في مقدمة الديوان أن اسمه محمود بن الحسين.

(٢٧) الفوائد، لابن القيم الجوزيِّة - تحقيق وإعداد، مكتب البحوث والدارسات - بمكتبة نزار مصطفى الباز - نشر المكتبة، الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ - ١٩٩٨م.

(٢٨) في ميزان النقد الأدبي، د/طه أبو كريشه، الطبعة الأولى - عام ١٩٨٦م.

(٢٩) كتاب سنن الترمذي، تأليف/محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق/أحمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، مطبعة - مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط: الثانية عام ١٣٩٥هـ - ١٩٧م.

(٣٠) كتاب مساوئ الأخلاق ومذمومها، لأبى بكر الخرائطي، تحقيق وتعليق/مصطفى بن أبى النصر الشلبي، مكتبة - السوادي للتوزيع بجده، ط ١: ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

(٣١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، للراغب الأصفهاني، دار الأرقم بن أبى الأرقم، بيروت – ط١ عام ١٤٢٠هـ.
(٣٢) المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها، د/عبد الله الطيب المجذوب، دار الفكر (د.ت).
(٣٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل، تأليف/أبى عبد الله أحمد الشيباني، تحقيق/شعيب الأرناؤوط، عادل مرشد، الناشر/مؤسسة الرسالة، ط: الأولى عام ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م
(٣٤) المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم)، تأليف/الإمام مسلم النيسابورى– تحقيق/محمد فؤاد عبد الباقي – دار إحياء التراث العربي – بيروت.
(٣٥) معجم الأدباء، لياقوت الحموي، تحقيق/إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
(٣٦) المنتحل – للثعالبي، تحقيق/الشيخ أحمد أبو على، المطبعة التجارية – عزوزي وجاويش – الإسكندرية– ١٣١٩هـ – ١٩٠١م.
(٣٧) موسيقى الشعر، د– إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٨١م.
(٣٨) النقد التحليلي، د– محمد عناني، مكتبة الأنجلو المصرية، (د.ت).
(٣٩) نهاية الأرب في فنون الأدب، للنويري – دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة – ط١ ١٤٣٢هـ.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١	مقدمة	٥٥٧
٢	التمهيد	٥٥٩
٣	الأخلاق وأهميتها عبر العصور والأزمان	٥٥٩
٤	الوراق سيرته وأخباره	٥٦٤
٥	• اسمه ومولده الوراق	٥٦٤
٦	• نشأته وسيرته	٥٦٥
٧	• شعره وأراء القدماء فيه	٥٦٦
٨	• مصادر شعره	٥٦٧
٩	**الفصل الأول** **موضوعات شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق عند الوراق**	٥٦٩
١٠	• الصبر	٥٦٩
١١	• القناعة	٥٧٣
١٢	• الشكر	٥٧٧
١٣	• العفو والصفح	٥٨٠
١٤	• الصدق	٥٨٤
١٥	• السخاء والإنفاق	٥٨٧

١٦	**الفصل الثاني** **السمات الفنية في شعر الدعوة إلى مكارم الأخلاق عند الوراق**	٥٩١
١٧	• الألفاظ والأساليب	٥٩١
١٨	• الصور الشعــرية	٥٩٨
١٩	• الموسيقى الشعرية	٦٠٢
٢٠	الموسيقي الداخلية	٦٠٥
٢١	**خاتمة البحث**	٦١٠
٢٢	**المصادر والمراجع**	٦١٢
٢٣	**فهرس الموضوعات**	٦١٦